آفاق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الكريم غلاب
سيـــرة الكتابـــة الروائيـــة والقصصيـــة (*)

(*) نصوص المداخلات المقدمة في ندوة تكريم عبد الكريم غلاب (اتحاد كتاب المغرب، فاس 10/11 ماي 1991)

تشكلات الفضاء السجني في روايات غلاب

□ حسن بحراوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصبح من المألوف أن نستمع إلى الكتاب وهم يرددون، بثقة متزايدة، بأن تشكيل الفضاء الروائي لا يخضع لقانون ثابت أو يتبع خطة معلومة ومفكراً فيها قبلا وأنه إنما يتشكل من خلال سيرورة الأحداث وانسجاما مع أمزجة وطبائع الشخصيات التي تنهض بالسرد. وليس لنا، في الوقت الراهن، سوىٰ أن نصدقهم طالما أننا لم نتوفر بعد علىٰ شواهد ملموسة أو قرائن دامغة تفسد هذا الرأي أو تضعه في أزمة.

وإذا كنا نأخذ علىٰ هذه التصريحات طابعها المجنح ومظهرها التبسيطي الذي يوهم بتلقائية لا وجود لها في العالم الروائي الشديد التعقيد فإننا نثمن، بالمقابل، ما توحي لنا به من اتصال أو تقاطع بين الفضاء الروائي وباقي المكونات الحكائية الأخرىٰ كالأحداث والشخصيات والحبكة إلخ.. ومن هذه الناحية فنحن نوافقهم علىٰ النظر إلىٰ المكان بوصفه شبكة من من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث ولكننا لا نجاريهم في الاعتقال بعفوية الفضاء الروائي، بل ونرىٰ فيه مظهراً لتواضع الكاتب ونكرانه لذاته.

وفي هذا السياق يقول الناقدان بورنوف وويلي، «إن المكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوّي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف. وتغيّر الأمكنة الروائية سيؤدي إلىٰ نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحىٰ الدرامي الذي يتخذه»[1]

1. بورنوف و ويلي : عالم الرواية. بوف، باريس، 1972ص 105.

إن النتيجة الأولى الملموسة لهذا الموضع هي أن الفضاء الروائي يصبح عنصرا متحكما في الوظيفة الحكائية والرمزية للسرد وذلك بفضل بنيته الخاصة والعلائق المترتبة عنها، ثم إنه من زاوية اختياره وتوزيع امكنته داخل السرد لا يخضع لحظة اتفاقية بما يعني أن الروائي لا يلجأ إلىٰ العصدفة لكي يشيد فضاءه. كما أنه لا يخضع لخطة وثائقية وانما يحاول اتباع ما يسميه هـ، ميتران بقانون الأصالة أو قانون التشابه اللذين يخضعان، عن وعي أو بدونه، لقاعدة شكلية [2]. ولعل أهم عناصر هذه القاعدة الشكلية وأكثرها وجاهة هو مفهوم المفارقة الذي يعود في أصله الىٰ جدلية الداخل والخارج المتضمنة في المكان والتي ترىٰ أن فضاء الرواية «مكان منته وغير مستمر ولا متجانس وهو يعيش علىٰ محدوديته، كما أنه فضاء ملئ بالحواجز والثغرات وغاص بالأصوات والألوان والروائح وباختصار فإنه ليس فيه أي شيء إقليدي [3].

وربما كان الفضاء السجني الذي نقترح مقاربته في هذا البحث من أكثر الفضاءات تجسيدا لفكرة المفارقة هاته، لما يشتمل عليه من ثنائيات ضدية قائمة في أصل نشأته مثل التعارض القائم بين الخارج والداخل/الانفتاح والانغلاق/الاتساع والمحدودية... إلخ وهذه الثنائيات الجدلية كما يبدو لا تلغي بعضها البعض وإنما تتكامل فيما بينها لكي تقدم لنا المفاهيم العامة التي ستساعدنا علىٰ فهم كيفية تنظيم واشتغال المادة المكانية في الرواية موضوع التحليل.

إن التأمل في فضاء السجن، بوصفه عالما مفارقا لعالم الحرية خارج الأسوار، قد شكل مادة خصبة للروائيين للعرض وإصدار الانطباعات التي تفيد في تأثيث الدلالة التي ينهض بها السجن كفضاء روائي لإقامة الشخصيات خلال فترة معلومة، إقامة جبرية في شروط عقابية صارمة.

وسيشكل السجن، بهذا المعنىٰ، نقطة انتقال من الخارج إلىٰ الداخل، ومن العالم الرحيب إلى الذات المنغلقة بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في الاسم والعادات وإثقال لكاهل النزيل بالإلزامات والمحظورات، فما إن تطأ اقدام النزيل عتبة السجن مخلفا وراءه عالم الحرية حتى تبدأ سلسلة العذابات التي لن تنتهي سوى بالإفراج عنه وأحيانا فإن اثارها تظل ملازمة له لمدة طويلة .. وستكون إجراءات الدخول تمهيدا للإجهاز على مقوماته الذاتية ومحو صفاته الانسانية التي ستعمل المراحل التالية علىٰ إفنائها تدريجيا : نقرأ من رواية «المعلم علي» ص 340 :

«دخل العنبر وقد اجتاز بوابة السجن بكل ما تحمله من إهانات، صفع حارس البوابة قفاه ليحني هامته فيذل، وقذف الحارس العام أذنيه بكلمات نابيات وهو يسجل اسمه، ونف في وجهه الحارس من الدرجة الثانية «كارديال» وهو يفتش جيوبه قبل أن يسلّمه إلىٰ العنبر، واستقبله السجناء بكثير من السخرية : أهلاً بالخضرة الجديدة».

وتتوج هذه السلسلة من الإجراءات الإذلالية التي تعقب الدخول مباشرة بتجريد النزيل من هويته الخاصة أي بانتزاع اسمه الشخصي واستبداله برقم يجعله في عداد النكرات التي يأهل بها السجن، نقرأ في «سبعة أبواب» ص 61 : وللرقم دلالته في عالمنا الجديد فما نحن بأسمائنا وشخصياتنا

2. هنري ميتران : خطاب الرواية. بوف، باريس، 1980ص 205.
3. جان ريسجير : الفضاء الروائي. Ed L'âge d'homme, Lausane, 1978 ص 19 .

وجريمتنا وعقابنا غير أرقام تضاف إلىٰ الأرقام التي احتلت من قبلنا مقاعدها داخل دار النقمة فتكون جميعا رقما واحدا هو الوديعة التي يحتفظ بها حارس السطح وحراس البوابة والفناء الممرات». وباختزال النزيل إلى مجرد رقم عددي تكون عملية افناء الهوية الذاتية قد اتخذت مسارها الثابت واستقرت علىٰ مدارها الطبيعي.. ويفقد النزيل بذلك عناصر اختلافه وتفرده ويتحول إلى مجرد نسخة مكررة تندمج ضمن مكونات الفضاء المغلق لعالم السجن.

ولعل أبرز رموز السجن، باعتباره مكانا للإقامة الجبرية، هي تلك المفاتيح التي تدور في اقفال الأبواب لكي تحجب العالم الرحب وتكون الحد الفاصل فيما بين الخارج و الداخل، بين «الحرية» النسبية في باحة السجن والعزلة المطلقة في الزنازن، ولذلك كانت لحركة المفاتيح لدىٰ النزلاء دلالة خاصة. نقرأ في سبعة أبواب ص 68 :

«وكانت قرقعة المفاتيح تعني إنه السجن، فقد اسلمتنا البوابات إلىٰ فناء فسيح، ولكن الفناء لم يوح لنا مطلقا بأننا في سجن، فهو فناء له حظه من شمس ونور وهواء، وللعين حظها من الامتداد، وهو اقرب مكان إلىٰ بوابات الحرية، فما شعرنا بالاثر الذي أحدثته قرقعة المفاتيح في نفوسنا حتىٰ تلفتنا فوجدنا انفسنا بين أربعة جدران، ولم يكن للباب القوي السميك الضخم غير جدار تحالف علىٰ أن يكتم الأنفاس في حر غشت اللافح».

إن قرقعة المفاتيح، في هذا النص، تمسي هي المؤشر على ذلك الانتقال الاضطراري بين عالمين متحايثين، عالم الشمس والهواء في الساحة وعالم الرطوبة والظلمة في المخادع الانفرادية، وأما الجدران والحواجز فلا تصبح وسائل حماية كما هي في المعتاد وإنما تتحول إلى تهديد ويتحول الأمان الداخلي الذي يفترض أن توفره إلى إغراء وخيانة كما يقول لوتمان [4].

إن المفتاح هو عنوان السجن إذن، فكل حركة له هي نوع من العقاب في ذاتها يعاني منها النزيل وتعمق شعوره بفقدان الحرية فيما تقوم كدليل على النظام الصارم لعالم السجناء من حيث هو فضاء مغلق يحجب الحرية ويغيبها يشير باشلار في «شعرية المكان» وهو يتحدث عن وظيفة المفتاح والمقبض بأن هذا الأخير يرتبط في أذهاننا بفتح الأبواب فقط، ولا نستطيع أنه تدرك سوىٰ بالتفكير المنطقي أنه يزاوج بين وظيفتي فتح الأبواب وإغلاقها، ولكن المفتاح، في قانون القيم السائد في السجن، يرتبط بإغلاق الأبواب أكثر مما يرتبط بفتحها وذلك كما يقول باشلار، لأن حركة الاغلاق تكون دائما أكثر وضوحا وقوة وسرعة من حركة فتح الباب (ص 78).

ولأمر ما تظهر هذه الجدلية (الفتح والاغلاق) علىٰ نحو واضح في رواية «سبعة أبواب» حيث تبرز هذه الوظيفة المزدوجة للمفتاح عند تصوير «سبعة أبواب» حيث تبرز هذه الوظيفة المزدوجة للمفتاح عند تصوير خروج البطل من السجن، نقرأ في ص 191 «واخترقت ممرات وابهاء.. أبوابا تفتح في وجهي ثم تغلق من خلفي كذلك، ولكن الاتجاه كان معاكسا» ومن الطريف في هذا المعنىٰ أن رواية «سبعة أبواب» تحمل علىٰ غلافها صورة لسبعة مفاتيح في أوضاع مختلفة...

---

4. يوري لوتمان : بنية النص الفني. غاليمار، باريس 1973 ص 320.

مفارقة أخرىٰ يكون فضاء السجن موضوعا لها وتتصل بمفهوم الحرية ذاته في مدلوله وأبعاده وقيمه. وإذا كان السجن في الاصطلاح الشائع يرتبط بالحجر وفقدان الحرية فإن الروائي يمكنه أن يعطيه في بعض السياقات بعدا جديدا ودلالة مختلفة وغير متطابقة مع المتداول المألوف..

ومن ذلك مثلا، كما عند ذ. غلاب، ان السجن يصبح موضوع ثنائية مفارقة تجمع بين افتقاد الحرية واستعادتها، ففي «دفنا الماضي» كما في «المعلم علي» يكف السجن عن أن يكون مكانا للسجن والاكراه ليصبح فضاء يتيح اللقاء والاتصال بين شخصيات النزلاء من المناضلين الذين كان لقاؤهم، وهم خارج السجن، موضوع مخابرات واستنطاقات، نقرأ في دفنا الماضي ص 338 : «لم يكن عبد الرحمن يحس بأنه فقد الحرية أو أنه سجين، وإنما كان يشعر بأن السجانين أتاحوا له فرصة لم تكن حياة الحرية تمكنه منها الالماما، وهي الاتصال بهذه النخبة من المناضلين، كان يعرفهم عن بعد، وكانت زيارتهم تكلفهم أو تكليفهم تحقيقا بوليسيا دقيقا، ولكن السلطة هذه المرة قد جمعتهم في قفص ومع ذلك كانوا يشعرون جميعا أنهم يتمتعون بالحرية التي لم يكونوا يذوقون طعمها : حرية التفكير معا وتبادل الرأي ووضع الخطط للمستقبل»

وأكثر من ذلك، ففي رواية «المعلم علي» سيصبح السجن مدرسة لتخريج المناضلين لما يبثه السجناء السياسيون، مثل علي والحياني، في زملائهم من مشاعر الوطنية وطرق النضال ووسائله، نقرأ في ص 340 : «كانا يحاولان تكوين المسجونين تكوينا خلقيا وتربيتهم علىٰ روح النظام والامتثال والعمل، ويختار كل منها العمال ليكون خلية وطنية عمالية تستعد في السجن لتخرج إلىٰ الحياة شاعرة بإنسانيتها عاملة علىٰ تحرير الانسان من الآخرين»

إن السجن، الذي أعد أصلا لعزل الإنسان وشل قدراته الخلاقة سيصبح فضاء منتجا ومحفزا علىٰ التصحيح واعداد المناضلين وذلك بفضل إرادة الحياة والعمل التي تحرك من يأهلونه، فالعامل «الصفريوي» الذي يدخل السجن وليست له أية تجربة سياسية سيخرج منه، بعد شهر، وهو «يحمل توصية من «علي» إلى «الجامعي»، وسرعان ما أصبح عاملا في سكة الحديد وأصبح عضوا نشيطا في خلية وطنية، وكان مساعد «الجامعي» في ابلاغ التعليمات إلىٰ عمال سكة الحديد» ص 344. وعلىٰ هذا النحو يتأكد الدور الجديد والمفارق الذي أصّلته الرواية المغربية للسجن بوصفه مصدراً للتعبئة ومدّ الشخصيات بالخبرة والوعي الوطنيين، وينجم عن هذا الانزياح الدلالي انزياح اخر مواكب يطرأ علىٰ موقف الشخصية إزاء المكان الذي تقطنه، فقد حل الشعور بالألفة لدىٰ «علي والحياني» مكان الإحساس المنفر بالوجود الذي اعتاد السجن أن يغشيه لدىٰ نزلائه، نقرأ في الرواية ص 340 : «ولم يجد السجينان في حياة السجن ذلا، وإنما شعرا بغبطة لم يكونا يتوقعانها وهما يضحيان من أجل فكرة، من أجل عمل، من أجل طبقة تعيش حياتها باحثة عن لقمة خبز نظيفة».

إن هذا الانحلال الكامل الذي يلحق دلالة الفضاء السجني لدى غلاب سيثمر لنا انحلالا دلاليا اعمق وأكثر تأثيرا فيما يخص مفهوم الحرية ذاته، فأي حرية نقصد عندما نتحدث عن افتقادها أو احتجابها داخل السجن ؟ إن الطابع المفارق لهذا المفهوم يقودنا إلىٰ القول بوجود الحرية داخل الانسان وليس في خارجه أو في محيطه، وذلك لأن الخارج، في العادة، يكون مجرد قشرة شفافة متغيرة ولا يمكن الوثوق بمظهرها، وإلا فكيف يمكن تفسير التحسر الذي يشعر به النزيل وهو يغادر

مكان إقامته الإجبارية ويستعيد حريته «الخارجية» إذا لم يكن بعنصري الألفة والاستئناس بطبيعة المكان وما يحيط به من موانع وحواجز، نقرأ من «سبعة أبواب» ص 181 على لسان السارد : «وقد رأيت سجناء من الذين يسميهم المجتمع «مجرمين» يودعون اصدقاءهم ونزلاء عنابرهم وفي وجوههم حسرة، وفي عيونهم دمعة ألم...

إلى جانب مفهوم المفارقة الذي ابرزنا بعض مظاهره فيما تقدم هناك مفهوم التراتب الذي يقضي بتوزيع الفضاء السجني إلى عدة طبقات أو فئات مكانية وفق مبدإ تراتبي معقد ومشكوك في مراميه.. وفي محاولة لتفكيك أجزاء تلك التراتبية وبيان الأساس المزيف الذي تقوم عليه سنعرض بإيجاز لبعض طبقات الفضاء السجن بناء على اهميتها من حيث الانغلاق والانفتاح وخاصة فضاء الزنزانة وفضاء الفسحة وفضاء المزار وذلك كذريعة لاستعراض قيم الإلزام والحجز التي تخبرنا عنها وضعية النزلاء ضمن الفضاء السجني الشامل.

1. فضـاء الزنزانـة :

ليس السجن فضاء انتقال وحركة، وإنما هو بالتأكيد فضاء إقامة وثبات، يضاف إلى ذلك انصاف السجن بالضيق والمحدودية، ولذلك كان من الطبيعي ان تنعكس محدودية المكان، في السجن، على حركة النزيل وتقلص من قدرته على الانتقال داخل فضاء محدود قبليا. ويزداد التضييق على حركة الشخصية عندما تكون نزيلة زنزانة انفرادية متناهية الضيق وسيئة التهوية وغارقة في عزلة قاهرة مما سيشكل المكان، نقرأ في «سبعة أبواب» ص 196 : «ستة شهور في زنزانة سقف عنيد، وكل زادي من نور وهواء ينفذ من نافذة معلقة تقاطعها قضبان حديدية سميكة، كنت أسير في رحابها خطوة أو خطوتين ثم ينتهي بي الأمد أمام جدار صارم أو باب مقفل بأمرني : أن أقف».

إن الزنازن والمحابس الانفرادية تلعب دورا حاسما في افشاء الشعور المدمّر بمحدودية المكان لدى النزيل فضلا عن أنها تشكل مظهرا للعقاب المضاعف الذي يفرضه السجن على بعض نزلائه ومن هنا طابعها الاستثنائي داخل فضاء السجن الضيق والمغلق أصلا، وتقدم لنا رواية «سبعة أبواب» (ص 154) وصفا للزنزانة يحيط بجميع الإحداثيات التي تشكل طوبوغرافيتها ومناخها الفيزيقي والنفسي : «والكاشو غرفة مظلمة لا نور فيها ولا هواء ولا ماء، وطاؤها حصير وغطاؤها سقف متداع نخرته الرطوبة والبرودة والقدم، غرفة عقاب للخارجين عن قوانين السجن وتعليماته، لا يتناول المذنب فيها غير كوبي ماء وكسرتي خبز حافيتين مما تعافه الكلاب وله بذلة خاصة تمتاز بالقدم والخروق والثقوب لا تستطيع أن تقي بردا أو تدفع حرا».

إن الانتقال بالنزيل من الحياة «العامة» التي ألفها ضمن الفضاء الآهل نسبيا داخل السجن إلى الزنزانة الانفرادية برسم العقاب سيبدّد ما تبقى من الامكانات الضئيلة في الحركة والاتصال بالعالم المحيط مما سيؤثر حتما بطريقة سلبية على معنويات النزيل وقدرته على الصمود، ويجعل من الزنزانة مسرحا تتحقق فيه مختلف فصائل الاضطهاد والإلزام والمصادرة على شخصية النزيل، ولن تعود الإقامة الجبرية في ذاتها، بالنسبة إليه، سوى مظهر عقابي ثانوي يمكن تجاهله أو حتى الاستئناس به في أية لحظة.

2. فضاء الفسحة :

في أفق هذا القانون السجني المبطن بمنطق غادر ستبدو فترة الفسحة كواحة في صحراء لا حد لها، فالدقائق القليلة التي يقضيها النزيل في ساحة الفسحة ستتحول إلىٰ متعة حقيقية تخلخل الرتابة اليومية التي يغرق فيها السجن بوصفه مكانا للإكراه الجسمي والنفسي وعزلا عن الممارسة الخلاقة في المجتمع. نقرأ في «سبعة أبواب» ص 93 : «وكانت الفسحة اليومية الأولىٰ في الصباح لا تعدو خمس عشرة دقيقة نخرج إليها مجموعة نستنشق هواء تحت سماء مكشوفة، ونقوم بحركات رياضية خوفا علىٰ عضلاتنا أن تتجمد من كثرة الجلوس في مكان رطب بارد لا هواء فيه ولا نور ولا شمس، وكان مكان الفسحة لا يعدو ثلاثة أمتار مثلثة لا مربعة، ودخلنا ثلاثتنا، واندفع باب الفسحة مرة أخرىٰ ليوصد من روائنا».

من المؤكد أن مكان الفسحة يقع داخل عالم السجن بحيث يظل خاضعا لإلزاماته ومحظوراته لكن ثمة تحول مهم يقضي نجعل فضاء الفسحة بمثابة النقيض الطبيعي لفضاء الزنزانة، علىٰ أنه يجب الحذر من الانزلاق وراء الكلمات فالنظر إلى فضاء الفسحة من زاوية اتساعها وانفتاحها ينبغي أن يتم بالقياس إلىٰ السجن المحدود أصلا وليس بالمقارنة مع الأماكن الاعتيادية الموجودة في حياتنا خارج الأسوار، فضمن هذه الحدود فقط يمكن أن نفهم الاستثناء الذي تمثله فترة الفسحة في حياة النزيل. وفي الظاهر فإن ساعة الفسحة ستكون المكان الملائم الذي يستعيد فيه السجين بعض صفاته الانسانية التي دأب السجن علىٰ إبادتها والاجهاز عليها، نقرأ في «سبعة أبواب» ص 96 علىٰ لسان البطل «واعتقد أنني لم أر السماء جلية مترعة بالحسن كما رأيتها من خلال المثلث، (...) وكانت في بهائها وجلالها تستبد بناظري حتىٰ لكأني اتطلع إلىٰ الحرية بين أحضانها، كانت المتنفس الوحيد الذي اتخلص فيه من عالم السدود والقيود فأجد في رحابة صدرها وامتداد آفاقها (يقصد الفسحة طبعا) ما يخلصني من رقابة السجان وانطباق جدران الزنزانة».

إن الفسحة كما تصورها لنا الرواية ستكون لحظة الاتصال الوحيد بالفضاء الطبيعي المحظور (ممثلا بمشهد السماء) ووسيلة النزيل الوحيدة لخرق مألوفية عالم السجن وتجاوز محدودية أبعاده وجبروت قيوده وإلزاماته.

3. فضاء المزار

إذا كان فضاء الفسحة، بفضل انفتاحه النسبي، يتيح للنزيل الاتصال بالفضاء الطبيعي وما يحيط به فإن فضاء المزار سيشهد، لقاءه بالفضاء الانساني ممثلا في زواره وما يحملونه من أطايب وما يمدونه من أنباء عن العالم الخارجي، فقيه سيستعيد النزيل بعض صفاته الانسانية المفقودة وعلىٰ رأسها إمكانية الحوار مع الآخر، المختلف، الموجود خارج الأسوار، في عالم الحرية.

إن فضاء المزار سيكون بامتياز مصدرا للامتلاء العاطفي الذي يشد النزيل إلىٰ عالم الأحياء ويحفزه علىٰ إعادة إنتاج ذاته وعلاقاته ضمن الحدود التي تسمح بها جدلية الداخل والخارج التي تنظم الفضاء السجني وتضبط العلاقات بين نزلائه والعالم الخارجي، فغشيان المزار يصحبه دائما شعور ضارب بالألفة يغمر النزيل ويبدد الكدر الذي لازمه ويتيح له استشراف لحظة التعلق العاطفي

الموصول بالحوار.. نقرأ في «سبعة أبواب» ص 129 «كلمة «بارلوار» لها مفعولها السحري عند جميع النزلاء ــ فهي تعني أن قلبا ما زال يهفو بالود والرحمة جاء ليسأل عن السجين وليستطلع خبره، وهي تعني أن خبرا ما : خيرا أو شرا، سيفاجئ السجين، وهي تعني أن سلة من الطيبات ستمتد بها الأيدي الرحيمة من خلف قضبان الحديد لينعم بها السجين ليلة وبعض يومه».

إن هذا النص، الذي يدهشنا بحرارته وصدقة، سيضعنا أمام أهم الدلالات المنبثقة عن فضاء المزار وسيساعدنا أكثر على حاجة الداخل المنغلق إلى الخارج المنفتح الذي يستمد منه ديناميته وأسباب صموده، ولكن وتلك الصدق وذلك الحرارة لا ينبغي أن ينسينا بأن فضاء المزار يعيش على انفتاحه اللحظي الكاذب، فخارج دلالته الخاصة المضمنة في إمكانية التواصل والحوار التي يوفرها للنزيل لا يعود للمزار ما يخلصه من إرادة الحجز الكامنة فيه طالما ظل خاضعا، في وظيفته ودلالته الشاملة، لشروط المنطق السجني الذي ينفي عنه كل ادعاءات الانفتاح والتواصل وتفضحه بشواهد الواقع العياني الذي تصفه الرواية كالتالي (ص 131) : «غرفة ضيقة لا نافذة لها غير بابين يتصل أحدهما بساحة السجن ويتصل الآخر بما بين البوابتين الكبيرتين، يقوم بين البابين قفص حديدي عتيد يصل أرض الغرفة بسمائها، وفي وسط القفص يقف الحارس ليراقب كل كلمة تقال في الجانبين»

وبصورة عامة، وسواء أكان المزار غرفة فسيحة أو ضيقة أو حتى ساحة هي الهواء الطلق فإن إرادة الحجز تظل ماثلة من خلال الأقفاص والقضبان الحديدية النابتة هنا وهناك والتي تخترق المزار وتحوله إلى منطقة منزوعة الحرية.

إن ابرز دلالة يمكن تحصيلها بصدد فضاء المزار **لا تكمن فقط في تطابق الشروط الطوبوغرافية التي تنظمه** مع عموم شروط المكان السجني **ولا في التضييقات المعنوية التي يكون مسرحاً ولكنها تكمن أساسا** في الطابع الإشكالي لهذا الفضاء، إنه يبدو **مكانا معقدا ومتناقضا وظيفيا ودلاليا معا**، وتتحدد إشكاليته في كونه يجمع، داخل حيز مكاني واحد هو المزار، بين النزيل والزائر أي بين عنصر مقيم في السجن وعنصر طارئ عليه هو الزائر الذي يمثل عالم الحيرة المفقودة **ومن هنا مبعث المفارقة التي تطبع دلالة المزار.**

هي ذي بعض الأفكار «الطليقة» عن عالم القيود والحواجز الذي يعيش فيه الفضاء السجني ممثلا هنا في أعمال ذ. غلاب الروائية... وهذه هي بعض النتائج «المؤقتة» التي أسفرت عنها **معاشرتنا لها طيلة** سنوات عديدة من القراءة والتأمل.